مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 16 العدد 2 (2023): 1– 14 ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892

اللغة العربية بين الانتشار غربا والانحصار شرقا

(بلاد المغرب وبلاد فارس أنموذجا)

The Arabic Language Between Spreading To The West And Being Confined To The East (Maghreb And Persia As A Model)

طيبي عبد العالي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله،كلية العلوم الإنسانية،مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، taibi.abdelali@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 19-02-2023 تاريخ القبول: 04-12-2023 تاريخ النشر: 31-12-2023

ملخص :

أعالج في هذا البحث موضوع اللغة العربية لغة العلم والأدب لقرون طويلة في كل البلاد التي حكمها المسلمون والتي كانت من أهم مظاهر الحضارة، غير أنها اعتبرت من المسائل التي لا علاقة لها بالتاريخ رغم ارتباطها العضوي به باعتبارها نتاجه، لكن البحث في مدى انتشارها بين الشرق (بلاد فارس) والغرب (المغرب الإسلامي) أثبت أنها من الإشكاليات التاريخية التي يجب دراستها والبحث فيها لأنها تعبر عن المخزون الحضاري للأمة، ومن هنا يمكن التطرق لإشكالية انتشار اللغة العربية وكيف استطاعت أن تنتشر في المغرب بشكل لافت ارتبط بالدين كليا وبما يمليه قانون المتغلب، بعكس بلاد فارس التي ساد فيها الدين الإسلامي وانحصرت فيها اللغة العربية، وسأدرس الأسباب والعوامل التي أسهمت في انتشارها والمعوقات التي أدت إلى انحصارها.

كلمات دالة : اللغة العربية، الإسلام، المغرب الإسلامي، بلاد فارس، القبائل العربية

المؤلف المرسل: طيبي عبد العالي: taibi.abdelali@yahoo.fr

Abstract:

In this research I deal with the subject of the Arabic language, the language of science and literature for many centuries in all countries ruled by Muslims, which were among the most important manifestations of civilization, but they were considered one of the issues that have nothing to do with history despite their organic link to it as a product, but the search for the extent of its spread between the East (Persia) And the West (the Islamic Maghreb) showed a lot about it and proved that it is one of the historical problems that must be studied and researched because it reflects the cultural stock of the nation, and from here it is possible to address the problem of the spread of the Arabic language and how it was able to spread in Morocco in a remarkable way that it is totally linked to religion and what the law dictates. Unlike Persia, in which the Islamic religion prevailed and the Arabic language was restricted, and I will study the reasons and factors that contributed to its spread and the obstacles that led to its isolation.

Key words: Arabic language, Islam, Islamic Maghreb, Persia , Arab Tribes

مقدمة

حافظت اللغة العربية على بنيتها وأضحت من أطول اللغات عمرا دون سواها وازدهرت بفضل مقوماتها التي استوعبت بها ثقافة وحضارة اللغات الأخرى على مدى التاريخ فكُتب لها البقاء وما كان لها أن تحتفظ به لولا ارتباطها بالقرآن الكريم ورسالة الإسلام التي لا تصح إقامة العبادات إلا بها، فأصبحت بذلك لغة الدين الذي حفظت بحفظه قال تعالى: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" سورة الحجر الآية (9). واقتفاء أثر انتشارها في الأمصار التي فتحها المسلمون شرقا وغربا لهو جزء من التاريخ العربي الإسلامي ذي الطابع الثقافي الذي تجاهله الكثير لحساب الجانب السياسي.

– ساهمت الكثير من العوامل في انتشار اللغة العربية ولعل أهمها على الإطلاق أن تطبيق الشعائر لا يتم إلا بها، لذلك تعلمها العجم وكل من دخل في دين الإسلام على حد سواء فسيطرت على وجدانهم وأفكارهم وأصبحت لغة التخاطب والكتابة والعلم فاتسع نطاق وجودها بشكل لم تشهده أي لغة أخرى وعمت بلدانا كثيرة وحافظت على تفوقها، يقول المستشرق

ارنست رينان (Renan Ernest) في كتابه تاريخ اللغات السامية وهو يتحدث عن اللغة العربية إنها من أغرب ما وقع في تاريخ البشر كما تعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال سلسة أية سلاسة غنية أي غني كاملة، بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ولا أدري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض (أنور محمود زناتي، 2011، ص74). والاتجاه نفسه يذهب إليه كارل بروكلمان (Carl Brocklmann) الذي يرى بأن اللغة العربية بلغت من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا بفضل القرآن الذي آمن به المسلمون جميعا، فيما نقله السعدي عنه في كتابه: "دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه"، فلا شك أن هذا الارتباط هو الذي جعلها لغة علم كاملة سلسة ومعروفة قال تعالى: " **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**" سورة يوسف الآية 2، إلا أن هذا القياس لا يمكن إسقاطه على كل البلاد التي فتحها المسلمون لوجود الكثير من العوامل التي أسهمت في انتشار الإسلام وأعاقت انتشار اللغة العربية خاصة ببلاد فارس عكس بلاد المغرب الذي أصبح فيها الإسلام واللغة العربية تلازميا.

الإشكالية:

تتناول هذه الدراسة الإشكالية التالية:

لماذا انتشر الإسلام في الشرق بشكل كبير لا يضاهيه انتشار اللغة العربية بعكس الغرب الذي كان فيه الانتشار تلازميا بين الإسلام والعربية؟

ومنه يمكن طرح التساؤلات التالية:

ما هي العوامل التي ساعدت في انتشار اللغة العربية ببلاد المغرب؟

ما هي الأسباب التي أعاقت انتشارها ببلاد فارس؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدت المنهج التاريخي من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفتوحات الإسلامية والمنهج الاستقصائي الذي تتبعت من خلاله مراحل انتشار اللغة العربية منذ الفتح الإسلامي والتطور الحاصل في رسوخ اللسان العربي، وذلك ضمن العناصر التالية:

1– الفتح الإسلامي وبداية انتشار اللغة العربية:

كانت أولى الأقطار التي انتشرت فيها اللغة العربية بعد جزيرة العرب بلاد الشام وبلاد فارس ثم مصر وبلاد المغرب والأندلس، ومع بداية استقرار العرب في ربوع البلاد التي فتحوها انتشر الإسلام وحلت اللغة العربية محل اللغات السائدة كالفارسية ببلاد فارس والعراق والرومية بالشام والقبطية بمصر، واللغات التي كانت مستعملة في بلاد المغرب والتي كانت تمثل خليطا للكثير من الأمم التي تعاقبت على احتلال هذه البلاد مثل الفينيقية واليونانية واللاتينية.

غير أن الوجود العربي الذي صاحب الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس والمغرب كان في غالبه من الجنود وبعض الفقهاء الذين انحصرت مهمتهم في فتح البلاد ونشر الدين الإسلامي بين عامة الناس، لكن استقرارهم بالبلاد التي فتحوها كان قليلا مقارنة بشساعة المنطقة من جهة وبسبب رجوع الكثير منهم إلى بلادهم، لذلك لم تعرف اللغة العربية ذلك الزخم الكبير من الانتشار مع دخول الفاتحين الأوائل رغم خضوع الكثير من أهل تلك البلاد ماديا وروحيا للفاتحين، ففي بلاد المغرب مثلا لم يتوغل الفاتحون في داخل البلاد واكتفوا بالبقاء في حدود صحراء افريقية وبلاد المغرب الأوسط، يذكر صاحب الاستقصا أن "العرب الداخلون لأرض المغرب في ذلك العصر إنما كانوا يدخلون إليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم، فيقضون الوطر من فتح الأقطار والأمصار ثم ينقلب جمهورهم إلى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب" (السلاوي، 1954م، 162/2)، وهو الرأي الذي يذهب إليه عبد الرحمان ابن خلدون حين يقول: إن العرب قد رجع الكثير منهم إلى مركز ملكهم بالمشرق، ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة (ابن خلدون، 2000، ج7، ص14)، وحتى من بقي منهم استقر بهم المقام في الحواضر الكبرى دون سواها من بلاد المغرب، لذلك تجد أن الكثير من أهل هذه البلاد قد ارتد عن دينه مع عودة الفاتحين لبلادهم، ومن بقي منهم لم يكن له الكثير من الاهتمام بالدين الجديد وهو ما يؤكد عليه عبد الله العروي الذي يرى أن إسلام الأمازيغ في الفترة المبكرة من الفتح كان سطحيا في المبادئ العامة، فلا شك أن تعريبهم كان أكثر سطحية (عبد الله العروي، 1996م، ج1، ص129)، لكن مع مرور الوقت واستقرار الكثير من القبائل العربية المهاجرة بالمغرب خاصة من جنوب مصر وبلاد الشام وجزيرة العرب تغيرت الأحوال وأصبحت اللغة العربية هي السائدة، لكن هذا لا ينفي انتشار اللغة في مراحل مبكرة من الفتح في الحواضر الكبرى.

2– عوامل انتشار اللغة العربية ببلاد المغرب:

عرفت اللغة العربية انتشارا واسعا بالغرب الإسلامي في ظل الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكمه، ولا شك في أنهم خلفوا وراءهم تراثا علميا وأدبيا وفنيا يندر أن تجده في أي بلد من البلاد الأخرى، فأقبل عليها أهل المغرب في نهم كبير لعلمهم بضحالة ما كان عندهم من العلوم من جهة ولخضوعهم للوافد الجديد من المسلمين من العرب، لذلك سادت لغتهم على سائر اللغات التي كانت قائمة قبلهم، والتي تلاشت بفعل انهزام هذه الدول وخروج الكثير من جالياتها إلى الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية باعتبارها آخر من حكم بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي مثل صقلية وشبه الجزيرة الأيبيرية وغيرها من البلاد الأوربية، ولأن "اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم،.. فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم ... فمضمون منهم موت الخواطر؛ وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أخبارهم وأنسابهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل" (ابن حزم، ج1، ص32)، لذلك تلاشت كل اللغات التي كانت سائدة ببلاد المغرب لصالح لغة المنتصر الفاتح.

2–1– دور الولاة والدول المستقلة:

يعتبر الدور الكبير الذي لعبه الولاة في المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي من بين أهم العوامل التي أسهمت بشكل كبير في ترسيخ استعمال اللغة العربية عبر إصدار الكثير من المراسيم التي عربت من خلالها الدواوين وفرض على الجميع التعامل بها في كل المعاملات الرسمية، ومن ذلك ما قام به حسان بن النعمان الذي جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد؛ بها ترفع الشكاوي وتحرر الرسائل للعمال ويكتبها كتاب الدواوين ويخطب بها خطباء المساجد في أيام الجمع والأعياد وتدرس في المساجد، وهو أول من عمل بالدواوين والرسائل باللغة العربية (حسين مؤنس، 2002م، ص57).

كما كان للعشرة التابعين الذين بعثهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم وهم: أبو عبد الرحمان الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد المعافري الذي انتفع به أهل افريقية وبعث فيهم علما كثيرا، وأبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي وهو من العلماء الذين جمعهم حنظلة بن صفوان ضد من ثاروا عليه بطنجة، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري الذي انتفع أهل القيروان بعلمه، عبد الرحمان بن رافع التنوخي ، وموهب بن حي المعافري، وحبان

القرشي، وبكر بن سوادة، وجعثل بن عاهان وهو من القراء الفقهاء، وإسماعيل المخزومي، وطلق بن جابان ويقال ابن جعبان الفارسي (ابن محمد المالكي، 1994، ج1، ص ص 99–118) الأثر الكبير في نشر الإسلام في ربوع بلاد المغرب ومن ثم نشر اللغة العربية.

قيام الكثير من الدول الإسلامية ببلاد المغرب والتي كان جل مؤسسيها من الفارين من اضطهاد الأمويين والعباسيين مثل الأدارسة بالمغرب الأقصى و الرستميين بالمغرب الأوسط، والتي سهلت للكثير منهم الاستيطان بهذه البلاد ومن ثم نشر الدين واللغة العربية معا (ألفرد بل، 1969م، ص214)، ورغم ذلك فإن أسلمة البربر كانت أسرع من تعريبهم على قول جورج مارسي (Georges Marçais) إلا أن ذلك لم يمنع الكثير منهم من تعلم العربية لارتباطها بالإسلام من جهة وللمزايا التي كانت تعطى لمن يعمل بها من جهة أخرى فالمناصب العليا في القضاء والدواوين كانت تمنح لمن يجيدون اللغة العربية دون سواهم.

2–2–الهجرة الهلالية:

عكست الفترة الثانية من الهجرة التي اتسمت بوصول القبائل العربية المهاجرة التي استقر الجزء الأكبر منها في إفريقية مثل قبائل بني رياح في حين استقرت قبائل بني سليم وبني هلال في المغرب الأوسط وجزء من المغرب الأقصى الذين لم تكونا موطنا للعرب إلا بعد هذه الهجرة، فكان تأثيرهم قويا في طباع الناس وأحوالهم ولغتهم على رأي ابن خلدون الذي يقول: "أما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب" (عبد الرحمان بن خلدون، 2001م، 42). لذلك تعتبر الهجرة الهلالية (420ـ 436هـ)(1029ـ1094م) من بين أهم العوامل التي أسهمت بشكل كبير في نشر اللغة العربية ببلاد المغرب، الذي شهد اكبر تحول بشري في تاريخه والذي نجم عنه تغييرا كبيرا في الجانب السياسي والديمغرافي والاجتماعي وحتى الثقافي وهو المجال الذي يهمنا في هذه الدراسة، وعليه يمكن اعتبار هذه الهجرة ورغم السلبيات التي أحدثتها والدمار الذي أصاب البلاد من جرائها من أهم العوامل التي يرجع إليها الفضل في نشر اللغة العربية، يقول أحد المستشرقين الذين لم يجد من تفسير لهذه السرعة التي انتشرت بها اللغة العربية ببلاد المغرب والتي لم تشهد لها مثيل غير القول بأن الفضل يعود للهلاليين الذين غيرت هجرتهم لبلاد المغرب مجرى التاريخ حيث أصبحت العربية اللغة السائدة إن لم نقل اللغة الأولى في التخاطب بين جميع مكونات المجتمع المغاربي، ما أدى إلى تلاش وتخفيف حدة

اللهجات البربرية (لعريبي بلال، 2017م/2018م، ص319) في كل المناطق حتى الداخلية منها والتي كانت لا تزال بكرا وتسودها اللهجات المحلية للكثير من القبائل البربرية مثل: هوارة ولواتة وكتامة وصنهاجة (شارل أندري جليان، 1985م، ص 386)، باستثناء بعض الجبال والمرتفعات التي لجأ إليها السكان الأصليون والتي لم يصلها الهلاليون.

ورغم أن بن خلدون يرى بأن بلاد المغرب لم تكن موطنا للعرب إلا مع بداية المائة الخامسة فإن ذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال الإقرار به لأن البلاد كانت آهلة بالعرب قبل ذلك بكثير، فقد تأسست فيه الكثير من الدول وظهرت الكثير من المدن العربية الإسلامية كحاضرة فاس والقيروان وتلمسان وتاهرت وغيرها من المدن التي سبق تأسيسها وقيامها وصول العرب الهلالية بكثير، لكن ما يمكن الإقرار به هو أن الهجرة الهلالية كان لها دورا كبيرا في انتشار اللسان العربي، حتى أنك لا تكاد تفرق بين لسان العربي والبربري بعدما استقر الهلاليون بهذه البلاد، وقد شاع بينهم أنه من انتسب إلى البربر أو تكلم بلغتهم فلا شك أنه بربري ومن انتسب إلى العرب أو تكلم بلغتهم فلا يجزم بأنه عربي رغم تمكنه من اللسان العربي لان حصول هذه الملكة إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ممن نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم (ابن خلدون، المقدمة، ص774).

هذا التأثير السريع العميق الخالد لا تجد له نظيرا في تاريخ البربر، وهكذا وجدت اللغة العربية طريقها بين أهل المغرب ككل والبربر خصوصا فصاروا يجيدون قراءتها وفهمها والتحدث بها إلى أن أضحت لغة الجميع (مبارك الميلي، ج2، ص41)، التي تمكنهم من التواصل والتفاهم فيما بينهم بعكس اللهجات البربرية المتعددة التي تختلف من جهة لأخرى (لعريبي بلال، 2017م/2018م، ص94).

2–3– عوامل أخرى:

أسهمت الكثير من العوامل في رسوخ اللسان العربي ببلاد المغرب نذكر منها:

– البربر كغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى التي عاشت ببلاد المغرب كانت لهم لهاجاتهم الخاصة بهم وكانت حياتهم السياسية مرتبطة وتابعة للدول التي حكمتهم على اعتبار أنهم تعرضوا للكثير من الاحتلال ولم يذكر في تاريخهم أنهم توحدوا وأسسوا كيانا واحدا أو دولة واحدة، ولأنهم لم يؤسسوا دولة واحدة جامعة لكل البربر لم تتوحد لهجاتهم في لغة واحدة (أبو القاسم سعد الله، 1996م، ج4، ص205).

– ارتباط اللغة بالحضارة، فكلما كانت الأمم ذات حضارة كانت لغتها هي اللغة السائدة، واللغة البربرية عبر كل تاريخها لم تكن لغة علم وحضارة، بل كانت لغة منطوقة والكتابة بها محدودة (رابح بونار، 1968م، ص283)، وتكتب كالألغاز وطريقتها بدائية وغير صالحة إلا لأدب شفوي فقير، وأضحت مع مر العصور لغة كلام؛ تكفي للمتطلبات المحدودة للريفيين، لكنها ليست لغة علم ولولا انتشار اللغة العربية بشمال إفريقية لما أتيح معرفة تاريخ هذه البلاد (جورج مارسي، 1999م، ص46).

– ضعف اللغة البربرية ومحدودية التعبير بها أدى إلى عدم وجود تراث علمي وثقافي مدون بها عدا بعض النقوش النادرة (محمد حسن، 1985م، ص63–78)، التي لا تعدوا أن تكون مجرد إهداءات استعملها الشباب وتستعملها النساء للزينة والزخرفة، ولو كانت تفي بالغرض منها لاستخدمها زعماء البربر كلغة أدب وعلوم ولغة ديوان في دولهم الناشئة مثل الملك ماسينيسا الذي استعمل اللغة البونية في كتاباته رغم عدائه للقرطاجيين (محمد علي عيسى، 2012م، ص262).

– وحتى الأدباء والمفكرون كتبوا باللغات التي كانت سائدة وقتها كالكنعانية (الفينيقية) والإغريقية واللاتينية، وهو ما نقف عليه فيما استدل به سالوست عن تاريخ الليبيين القدماء من خلال كتاب الملك هيمبسال الذي ذكر أنه صاغه باللغة الكنعانية (محمد علي عيسى، 2012م، ص263).

أن الفاتحين من المسلمين لبلاد المغرب لم يحاربوا اللغة الأصلية للسكان أو يلغوها كما يفعل المنتصرون في العادة، بل أبقوا على تداولها بين الناس الأمر الذي دفع بالبربر الذين كانوا يحبون الإسلام للإقبال على تعلم اللغة العربية التي أخذت حيزا أكبر من ذلك الذي كانت تشغله اللغات السابقة التي تلاشت بعدما حلت العربية محلها (حنا الفاخوري، 1986م، ص994).

– حرص العرب الفاتحين على بناء الكتاتيب التي سهلت على أبناءهم وأبناء البربر تعلم القرآن والحديث واللغة العربية، ولعل هذه المرحلة هي الأكثر تأثيرا في الأجيال اللاحقة للتمرس على لغة القرآن (الرقيق القيرواني، 1994م، ص24).

– أن الرومان طمسوا العناوين والحروف القديمة التي وجدوها في إفريقيا عندما احتلوها، ووضعوا مكانها عناوينهم وحروفهم حتى يُخلدوا وحدهم ولا يبقى أي أثر للحرف الإفريقي (مارمول كاربخال، 1984م، ج1، ص117–118).

– عاش سكان المغرب في ظل الدول التي احتلتهم بداية من الفينيقيين ثم الرومان والوندال وصولا إلى البيزنطيين، فكانت الفينيقية الكنعانية واليونانية ثم اللاتينية لغة الكتابة لديهم، لكن هذا الخليط من الأجناس الذين توالوا على حكمهم كونوا مزيجا من اللغات التي صعب على أهل البلاد استيعابها، لكن مع الفتح الإسلامي أخذت اللغة العربية مكان كل هذه اللغات حتى اللاتينية منها التي كانت تمثل لغة العلم والحضارة، لكنها لم تكن لغة العامة من الناس بل كانت لغة الخاصة منهم والصفوة في المدن الكبرى ولغة الدواوين والكنيسة ولم تكن منتشرة فيما سوى هذه المجالات، الأمر الذي عجل بزوالها مع دخول العرب لبلاد المغرب وهجرة الكثير من أهلها من اللاتين والنصارى إلى بلاد أوربا (جورج مارسي، 1999م، ص46 – 47) وأصبحت بذلك اللغة العربية الأولى لكل الدول التي قامت بعد ذلك ببلاد المغرب كالحماديين والزيريين والمرابطين والموحدين والزيانيين والمرنيين الذين كانوا في غالبيتهم من أصول بربرية.

وبالمجمل فإن اللغة البربرية أو اللهجات البربرية غلب عليها التواصل الشفهي ولم تتعدى إلى مجال الكتابة والتأليف بالشكل الذي يجعل منها لغة علم وتطور منذ نشأتها وحتى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

3– عوامل انحصار اللغة العربية ببلاد فارس:

أما بلاد فارس التي فتحها المسلمون قبل بلاد المغرب وبسطوا نفوذهم عليها بدافع نشر الدين الإسلامي، فقد بدت لوهلتها محبة للإسلام راغبة في لغته خصوصا بعد أن أقبلت شرائح كثيرة على تعلم اللغة العربية لغة القرآن لكونها تحمل كلام الله ومن خلالها سيكون الولوج إلى معرفة تعاليم الدين ومفتاح العلوم الدنيوية، وقد تيسر لمن دخلوا في الإسلام تعلمها فنبغ فيهم الكثير في شتى العلوم حتى صاروا أعلاما، وأضحت بلاد فارس مدينة الأدب الشعر لكثرة اهتمام الخاصة من أهل العلم بذلك فوجدت أولى اللبنات الخصبة لانتشار اللغة العربية، ذلك أن المغلوب يعتقد في غالبه الكمال فيقلده في شعاره وزيه ولغته وسائر مناحيه (محمد علي كرد، 2018م، ص163)، لكن الحقيقة كانت غير ذلك، فقد أضمر أهلها التعصب للمجوسية التي لم يكن بيت فيها يخلوا من العمل بطقوسها التي تعارض صحيح الدين، فهي وإن لم تعص العرب والعربية ظاهرا فقد عصتها باطنا ، ولعل قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي كان أول من أدرك ذلك حين قال فيهم: "اللهم لا تدركني أبناء الهمذانيات والأصطخريات (ياقوت الحموي،

ج1، ص 211)وعدد قرى من قرى فارس الذين معهم قلوب العجم وألسنة العرب" (ابن القيه، 1996م، ص 523).

ورغم أن اللغة العربية تستند إلى خلفيتها الحضارية المستمدة من القرآن الكريم إلا أن انتشارها ببلاد فارس وما جاورها اختلف بالكلية عما كان ببلاد المغرب، فالفرس كانوا يعتبرون أنفسهم يمثلون القوة والحضارة والمعرفة العلمية والأدبية التي كان من نتاجها الصراع مع الدولة العباسية حول الهوية العرقية المرتبطة بتاريخ الفرس خصوصا؛ الأمر الذي غرس في نفوسهم النزعة إلى إحياء التراث الفارسي والابتعاد عن الخلافة العباسية واعتبار مدينة بخارى **عاصمة الدولة** الفارسية ومركزها العلمي وابتعادها عن بغداد، فعادت اللغة الفارسية إلى الواجهة وانتشرت من جديد وأصبحت هي اللغة الرسمية للدولة، بعد ما تزعم نهضتها كوكبة من أهل العلم والأدب والشعر وظهرت التآليف بهذه اللغة بعد أن ترجمت العديد من الكتب والمصنفات العربية.

والحقيقة أنه على كثرة ما كان في بلاد فارس أيام الدولة العباسية من مراكز العلم، فقد كانت اللغة العربية لا تعرف إلا في أندية الخاصة على اعتبارها اللغة الرسمية والعلمية التي يتخاطب بها المثقفون في المدن الكبرى من بلاد فارس، وأما ما سواها من المدن فكانت بمعزل عنها (محمد علي كرد، 2018، ص164).

ومن العوامل الأخرى التي أعاقت انتشار اللغة العربية وساهمت في تراجعها لحساب الفارسية نذكر:

– اللغة الفارسية احتفظت بالكثير من مقوماتها حتى بعد انتشار الإسلام بها حيث بقيت اللغة العربية محصورة في الشعائر التعبدية ولم يتعلم الكثير من الفرس اللسان العربي إلا مالا بد لهم فيه من الحاجة، وحفظوا من اللغة العربية ما لا غنى لهم في المحاورة عنه، وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه، وأهملوه لقلة الرغبة في الباعث عليه (ابن الأثير، 1979م، ج1، ص5).

– أن العرب الذين أدركوا هذه الحضارة في الشرق شغلتهم الرئاسة والقيام بالملك عن القيام بالعلم فغلب عليهم لغة أهل البلاد حتى فسدت لغتهم وهذا ما نقف عليه في قول ابن خلدون: "وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأظآرا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى" (عبد الرحمان بن خلدون، 2001م، 771).

– سقوط بغداد في أيدي التتار زاد الأمر سوءا "فصارت الدولة إلى أيدي أمراء لا يعنيهم شأن العربية، فانحطت هذه اللغة إلى درك سافل، وظلت الخطابة بها مقصورةً على أيام الجمع والأعياد ومواسم الحج، وموقوفة على مواعظ محدودة، بعد أن كانت تخوض في كل شيء" (محمد الطاهر بن عاشور، 1433هـ، ص 185)، ما ساعد في انتشار اللغة الفارسية وارتفاع شأنها في الكثير من ممالك آسيا الشرقية (عباس إقبال، 2000م، ص135).

– إبقاء الفرس على المعاملات وكل شؤون الدولة باللغة الفارسية في حين لم تستعمل اللغة العربية إلا في مجالات محدودة سرعان ما فسدت بما اختلط بها من لغة العجم (ابن الثمين، 2008م، ص34–35).

– اعتماد العرب على إجراءات البلاط الفارسي خاصة في مجال الدواوين والترجمة؛ قوى لدى الفرس نزعة التفوق بمقومات لغتهم ما أعاق عملية التعريب (عادل عبد العزيز محمد، 2006م، ص151)، و حجم من انتشار اللغة العربية بها.

– إضافة إلى ما سبق فإن بلاد فارس لم تشهد هجرات مكثفة ولم ينزلها العرب للاستيطان المكثف كما في بلاد المغرب التي استقر بها الكثير من العرب وشهدت الكثير من الهجرات الكبرى.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن الخروج بالنتائج التالية:

– يمكن القول بأن العوامل التي ساهمت في نشر الدين الإسلامي منذ بداية الفتح هي نفسها التي ساهمت في نشر العربية وان بشكل مختلف بين الشرق والغرب.

– أن انتشار اللغة العربية كان يسير ببطء بعكس الدين الإسلامي الذي وجد إقبالا كبيرا من كل الأجناس والدول التي فتحها المسلمون.

– هجرة القبائل العربية بشكل مكثف واستقرارها ببلاد المغرب كان له الأثر الكبير والإيجابي في نشر اللغة العربية و استحكام اللسان العربي.

– جل الدول البربرية التي نشأت ببلاد المغرب كانت اللغة العربية مصدرها الوحيد في كل المجالات السياسية والعلمية، فقد كانت العربية هي اللغة الوحيدة للكتابة باستثناء ما كتبه البعض بالبربرية مثل المهدي ابن تومرت الذي ألف بالبربرية لكن بالخط العربي والحروف العربية.

– وجود هجين من اللغات الذي تشكل بفعل الأمم التي احتلت بلاد المغرب سهل على اللغة العربية الانتشار بعكس بلاد فارس التي كانت لها لغة قديمة وموحدة.

– حاجة البربر إلى اللغة العربية التي كانت مصدر وحدتهم كان أكبر من حاجتهم إلى لهجاتهم المتعددة التي عملت على تفرقتهم.

– أن اللغة العربية انتشرت بالمغرب بشكل سلس وسهل لم تجد لغة قوية منافسة لها بل وجدت الكثير من اللهجات التي كان استعمالها في التخاطب فقط بعكس بلاد فارس الذي كانت لغتها لغة علم وحضارة.

– انكب على تعلم اللغة العربية الكثير من أهل فارس باعتبارها لغة العلم والحضارة إلا أن الخلاف بين العباسيين والفرس مع قيام دولة السامانيين وتعصبها للغتها أعاد اللغة الفارسية إلى الواجهة.

– رغم الانحصار الذي عرفته اللغة العربية ببلاد فارس إلا أنها حافظت على جزء من وجودها هناك من خلال الخط العربي الذي اعتمد في كل الكتابات والمراسلات السياسية والعلمية والذي بقي متداولا حتى اليوم.

قائمة المراجع:

- ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري . (1979). النهاية في غريب الحديث الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ابن الثمين محمد بن عبد الله . (2008) . اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، دار الشؤون الإسلامية، دبي.
- ابن حزم أبي أحمد علي بن أحمد بن سعيد . (دت) . الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن خلدون عبد الرحمان . (2001) . مقدمة ابن خلدون، ضبط ومراجعة: خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- ابن خلدون عبد الرحمان . (2000) . ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
- ابن عاشور محمد الطاهر . (1433هـ) . أصول الإنشاء والخطابة، ويليه ، محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

- أنور محمود زناتي. (2011). اللغة العربية ودورها في التواصل الحضاري بين الشعوب، دورية كان التاريخية، العدد الثالث عشر، القاهرة.
- إقبال عباس . (2000) . تاريخ المغول من حملة حنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مراجعة: حسن النابودة، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات.
- بل ألفرد . (1969) . الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الكتاب للطباعة، بنغازي.
- بلال لعربي. (20172018 /) . انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح إل استقرار بني هلال بين القرن (1ت 6هـ / 7- 12م)،[أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط]، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر.
- بونار رابح . (1968) . المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- جليان شارل أندري . (1985) . تاريخ شمال إفريقيا (تونس الجزائر المغرب الأقصى) منذ الفتح إلى سنة 674م، ترجمة: محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.
- حسن محمد . (1985) . الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد72.
- الحموي ياقوت . (1977) . معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- سعد الله أبو القاسم . (1996) . أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري . (1954) . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- العروي عبد الله . (1996) . مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- عيسى محمد علي . (2012) . الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر التاريخية والأنثروبولوجية واللغوية؛ ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي.
- الفاخوري حنا . (1986) . الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت.
- القيرواني الرقيق . (1994) . تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجان للنشر والتوزيع، القاهرة.
- كاربخال مارمول . (1984) . إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط المغرب.
- كرد محمد علي . (2018) . الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي للنشر.

- مارسي جورج . (1999) . بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة ومراجعة: محمد عبد الصمد هيكل و مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد . (1994) . رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق ومراجعة: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- محمد عادل عبد العزيز . (2006) . التفسير العلمي لحركة الفتوح الإسلامية والتعريب، (د ط)، دار غريب، القاهرة.
- مؤنس حسين . (2002) . فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(711–756م)، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- الهمداني أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ابن الفقيه . (1996) . البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.